

في ذكرى انتفاضة رمضان

ايها الأخوة^(١)

امتنا تخوض تجربة تاريخية كبرى متعددة النواحي فيها الانتصارات وفيها العثرات الى أن تبلغ الأهداف الكبرى التي وضعتها لنفسها كأمة عظيمة تشعر بدورها التاريخي وبرسالتها الانسانية . لانستطيع ان نقدر عظمة ثورة رمضان إلا اذا تذكرنا العهود الحالكة التي سبقتها سواء في العراق أو في سوريا، ليس سهلاً أن نوفي بطولة شباب البعث العربي الاشتراكي حقها من التقدير، تلك البطولة التي جسدها في صباح الرابع عشر من رمضان مدنيين وعسكريين . لقد قضاوا في ذلك اليوم على عهد من التآمر على عروبة العراق بل على العروبة جمعاء على عهد مثل العزلة والانتهازية والشعبوية والدكتاتورية أبشع تمثيل .

وانتفاضة رمضان كانت في الوقت نفسه قضاء على عهد آخر لا يقل إجراماً وتآمراً وسواداً عن عهد قاسم ذلك هو عهد الانفصال في سورية العربية . انتفاضة رمضان أيها الأخوة كانت ممهدة ومقدمة لحركة أذار كما نرجو أن تكون حركة أذار ثأراً كبيراً لثوار رمضان . الأمة الأصيلة ايها الأخوان هي التي تتعلم من جميع الظروف والأحداث من النصر ومن الفشل على السواء ولقد كان عهد الانفصال درساً عميقاً بليغاً لجميع المناضلين إذ برهن بأن تفرق القوى العربية التقدمية لا يكون إلا

(١) كلمة القيت في ٨ / ٢ / ١٩٦٥ ونشرت في جريدة «الأحرار» بتاريخ ٩ / ٢ / ١٩٦٥ .

لمصلحة الاستعمار والرجعية . وان الخلافات مهما تكن كبيرة بين قوى المعسكر الثوري العربي لايجوز ان تتعدى حداً معيناً وإلا استغل ذلك الاستعمار واستغلته الرجعية والصهيونية وجميع أعداء الأمة العربية .

ايها الأخوان

لقد كان الدرس مؤلماً بالنسبة إلى معسكر الثورة العربية عندما أصيب بنكسة الانفصال في سوريا وكان مؤلماً عندما اصيب بنكسة ١٨ تشرين في بغداد ولكن التقدميين العرب ، القوى العربية التقدمية خرجت أخيراً مستفيدة من هذا الدرس بعد ان دفعت هي والشعب العربي في جميع اجزاء وطنه أبهظ الأثمان ، وتوصلت أخيراً إلى أن تدرك هذه الحقيقة الأولية وهي انها كلها يجب ان تبقى صفاً واحداً في وجه اعداء الأمة العربية واعداء نهضتها وتقدمها .

لقد ظهر هذا الوعي الجديد المبارك عندما سارعت القوى التقدمية في الوطن العربي وحتى خارج الوطن العربي الى تأييد حركة آذار في قراراتها الاشتراكية الأخيرة متناسية كل الخلافات الثانوية مدركة بأن المعركة الأولى يجب أن تبقى مع الاستعمار والصهيونية والرجعية وهكذا تلاقى الأخوة بعد زمن من الفرقة وسارعت الجمهورية العربية المتحدة قيادة وشعباً الى تأييد قرارات التأميم كما حذت حذوها ثورة الجزائر وكما فعل المعسكر الاشتراكي ، ولم يتخلف إلا اعداء الثورة إلا اعداء الشعب إلا اعداء التقدمية إلا اعداء القومية ، الحاكمون في بغداد الذين فضحوا انفسهم مرة اخرى عندما تخلفوا عن الركب التقدمي فوقفوا الى جانب المؤامرات الاستعمارية والرجعية على سوريا ، وهاجموا الخطوات الاشتراكية المباركة وكان هذا كافياً لادانتهم مرة جديدة بانهم اعداء الشعب . هذا الحكم الرجعي المتآمر الذي يزج في السجون الآلاف من البعثيين وألوف الوطنيين التقدميين دون وازع من ضمير .

ونحن نرسل باسم شعب هذا القطر وباسم حركة آذار وباسم البعث العربي الاشتراكي في كل قطر عربي نرسل تحية النضال والاعجاب والأخوة لمناضلينا المعتقلين في سجون العراق ولجميع رفاقهم من الوطنيين المخلصين تحية عربية نضالية إلى المعتقلين من اعضاء القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي

معاهدين رفاقنا على اللقاء في يوم قريب في يوم النصر المبين .
وكلمة صادقة الى جميع المنظمات القومية والوطنية التقدمية في العراق لكي
تعتبر بالدروس السابقة ولكي تدرك اخطاء الماضي فتتلافها وتوحد جهودها في سبيل
المعركة المشتركة وفي سبيل التخلص من الأوضاع الرجعية الدكتاتورية العاشمة .

ايها الاخوة

الحزب الذي يضطلع بمهمة تاريخية في سبيل سعادة شعب عظيم لا يخاف ان
ينقد نفسه وان يرى اخطاءه لانه يعرف ان هذا شرط اساسي من أجل أن يصحح سيره
وان يسرع في تحقيق أهدافه .

ولقد حدث بعد انتفاضة رمضان غلو وتطرف في معاملة فئات تقدمية كانت هي
الأخرى قد انجرفت مع الغلو والتطرف وتصدت لتلك الانتفاضة المجيدة دون إدراك
لحقيقتها التقدمية ودون ادراك لطبيعة إنتفاضة رمضان الشعبية التي إنما وجدت من
أجل الطبقة الشعبية من أجل العمال والفلاحين من أجل الجماهير العربية الكادحة
الواسعة في كل جزء من اجزاء الوطن الكبير فكان هناك غلو من الطرفين وتباعد وكانت
هناك أعمال قاسية يجب أن ننتقد انفسنا فيها لكي نتحاشى في المستقبل كل سبب
من أسباب التناؤد والتناحر بين قوى التقدم والثورة ولكي يستفيد كل طرف من هذه
التجارب والعبر .

فلقد ظلت حركة البعث العربي ايها الرفاق والأخوة . . . مغموطة الحق ظلت
حركة البعث العربي سنين طويلة في نظر الحركات الثورية والتقدمية في العالم
مغموطة القدر والحق ، لا يعترف بثورتها وبتقدميتها وبأنها تمثل حركة الجماهير
العربية في تطلعها نحو المجتمع الأفضل ، وكانت تلقى عليها الشبهات والتهم جزافاً
وظلماً وعدواناً . واخيراً وضع الحق وتراجع المخطئون وخاصة بعد ان اسفرت حركة
آذار عن وجهها الاشتراكي الحقيقي الأصيل ، لم يعد من عذر أو مبرر لاية فئة تقدمية
في الوطن العربي أو خارجه ان يلتبس عليها الأمر في فهم حقيقة البعث العربي
الاشتراكي .

ايها الأخوة

ليس كل الذنب على الآخرين ليس كل التقصير من الآخرين يجب ان نعترف بقسطنا وان نتحمل نصيبنا من الخطأ، لكي تكون حركتنا بالفعل حركة تاريخية متجردة، تسمو فوق الانانيات وفوق الاعتبارات الزائلة ولا يهملها شيء الا مصلحة الشعب العربي . لم تنتكس إنتفاضة رمضان هذا الانتكاس المؤقت لان هناك رجعية واستعماراً يتآمران دوماً على شعبنا وعلى ثورته وإنما أيضاً لأن الانتفاضة تركت مجالاً لاستغلال هذه القوى المعادية .

والحزب مفجر الثورات هو فوق الثورات وإذا اخطأت الثورات، فالحزب موجود لكي يصحح . ايها الأخوة . . . الثورة لاتخشى اعداءها لانها انما وجدت لكي تواجه هؤلاء الأعداء، ولكي توقع بهم الهزيمة، وتقضي على جرائمهم ومفاسدهم، وتعطيهم لهضة امتنا . ولكن الثورة يجب أن تخشى ان يتأثر بالأعداء من هم بحكم مصالحهم وأوضاعهم وآمالهم في صف الثورة . الثورة تكون مقصرة إذا تركت الأعداء يؤثرون في قسم من ابناء شعبنا ما استطاعوا ان يتبينوا اين تكون مصالحتهم واين هو موضعهم في الثورة .

وعلينا باستمرار أن ننقد أنفسنا وان نحث الهمم باستمرار لكي نوصل صوت الثورة الى جميع ابناء الشعب الذين يفترض فيهم أن يكونوا الى جانب الثورة يقاتلون ويحاربون في صفها .

ايها الأخوة

ان الانتصارات لا تسكر إلا الأفراد السطحيين المغرورين الدخلاء على الثورة والحزب، لان المناضلين الحقيقيين يزدادون تواضعاً عند كل نصر يحققونه ويعرفون انهم لم يكونوا سوى الاداة لهذا النصر، وإن الشعب هو صانع النصر .

ايها الأخوة ما زالت الطريق أمامكم، أمامنا جميعاً، ما زالت الطريق طويلة وشاقة، ما تزال أمامنا مهمات كثيرة ليست الانجازات على اهميتها هي كل شيء وإنما هناك الوعي والتوعية والتوضيح والوصول إلى قلب كل مواطن بحماسة النضال، بحرارة الايمان، بحرارة المحبة، أن لاندع فرداً واحداً يغدو فريسة الرجعية، أو فريسة

الاستعمار، يضلل وينتقل إلى صف الأعداء بدلاً من أن يحارب في صفنا ما زالت هناك نقاط غامضة تحوم حول هذه التجربة في نظر قسم من أبناء الشعب .

يجب أن توضح هذه النقاط يجب أن يعرف الشعب العربي في سوريا وفي كل أرض عربية بأن حزب البعث العربي الاشتراكي هو من صميمه ، هو من قلبه وروحه ، هو من دمه وعرقه وشقائه ، هو من تراثه وتاريخه ، هو من عروبه والأصيلة هو من قيمه الروحية ، وانه ليس دخيلاً عليه وليس غريباً عنه ولا شاذاً ولا متحذلقاً ولا متعسفاً وإنما ترجمان أمين متواضع لحاجات هذا الشعب ولروح هذا الشعب ويجب ان يكون هذا واضحاً ليس في الكلام فحسب وانما في سلوكنا وفي عملنا اليومي ، يجب ان تتجسد اخلاق البعث وفكرة البعث بكل ما تحمل من قيم روحية ومن أصالة عربية ومن تشبع بتراثنا القومي التاريخي المجيد، يجب أن تتجسد في أعمالنا اليومية وهكذا لن يكون في وجهنا إلا الأعداء وهذا ما قبلناه عندما بدأنا حركتنا لأننا إنما وجدنا لنزول هؤلاء الأعداء من طريق الأمة .

ايها الأخوة

لقد طرأت اشياء واشياء على هذا الحزب وعلى ثوراته ويجب ألا نتهاون في التمييز بين الأصل والدخيل بين المفاهيم الأصيلة والمفاهيم والشعارات المقلدة والمستعارة، يجب أن يعود اعضاء هذه الحركة إلى ماضي حركتهم كما يجب أن نعود جميعاً الى ماضي أمتنا المجيدة فنستلهمه باستمرار. الحزب الذي لا يرتبط حاضره بماضيه لا يكتب له التقدم والنجاح والأمة التي لا يرتبط حاضرها بماضيتها لا تقدر على التخلص من أوضاعها الفاسدة وعلى تحقيق النهضة والثورات .

هذه الحركة منذ بدايتها قامت على أفكار أساسية وقيم أساسية وما أحرانا بأن نتذكر باستمرار هذه القيم والأفكار بعد ان دخلت في طور التحقيق فقد كانت فكرة القومية ايها الأخوان مظلومة في وطننا لا بل في العالم كله .

كانت فكرة القومية في نظر الثوريين والتقدميين في العالم تعتبر فكرة رجعية ونزعة تعصبية او استعمارية وكان البعث العربي أول من جلا حقيقتها وأظهر وجهها الايجابي المبدع الثوري المحب وكانت تلك كلمة السر في نجاح هذه الحركة لانها

حملت إلى جماهير الشعب العربي الثورة باسم القومية العربية قنرر الاشتراكية بالوحدة وبالقومية فوجدت الطريق معبداً الى قلوب الشعب والجماهير.

وبعد سنين وسنين من نشأة هذه الحركة رأينا الحركات التقدمية في آسيا وأفريقيا وغيرها من بلدان العالم تؤكد تلك الحقيقة التي كان حزب البعث العربي الاشتراكي اول من أبرزها بأن القومية ليست كلها سلبية وليست سلبية إلا تزييفاً وتشويهاً وانحرافاً عن حقيقتها وإنها في حقيقتها إيجابية محبة ثورية مبدعة .

كذلك كان البعث العربي منذ ربع قرن أول من أعطى لقيمة أخرى عالية لقيمة روحية ثانية هي الدين اعطاها حقها وأنصفها وجلا وجهها الايجابي المبدع الصادق بعد ان كانت الحركات التقدمية في العالم تنظر الى الدين كأنه وسيلة لتضليل الشعوب فحسب، وسيلة يستخدمها مستغلو الشعب ومستعبدوه وانه للتخدير والتضليل وقتل روح الثورة والنضال فجاء البعث العربي وبدأ نضاله وتاريخه بأن جلا الوجه الحقيقي للدين وخاصة للتراث العظيم للأمة العربية وللرسالة الخالدة التي نعتز بها جميعاً فما لنا ايها الأخوة . . . ما لنا ننعامى عن الكنوز التي كشف عنها حزينا، ما لنا نتهاون في تقدير هذه القيم؟ .

ايها الأخوة

يجب ان تكون نظرنا جريئة نظرة الثوريين فيها جرأة وفيها شجاعة وفيها الرجولة يجب ان لانحمل الآخرين كل المسؤولية بل ان نتحمل قسطاً منها سنجد دوماً في طريقنا العقبات، سنواجه كثيراً من الشكوك والظنون والاتهامات من قبل أقرب الناس الينا من قبل أفراد شعبنا سنواجه دوماً كل ذلك إذا لم نعد الى تلك الينابيع الأولى الينابيع الروحية التي بدأت بها حركتنا وإذا لم نصمم بأن نرفع ثورتنا الى صف الثورات التاريخية وأن نعطيها أبعادها الانسانية وان تتسم بالعمق والمحبة والأخلاق . وما ارتضينا لأنفسنا بالماضي ولن نرتضي بأن تكون ثورة البعث مجرد حكم وسلطة تصدر القوانين وتصدر الاجراءات وانما أرادها الشباب العربي في هذا الوطن العربي الواسع أرادوها حركة تاريخية إنسانية تروي في النفس العربية كل تطلعاتها وطمأها الى القيم والمثل تعيد الصلة بين حاضرنا وماضيها المجيد، تفتح أمام شعبنا

إمكانيات مستقبل انساني أصيل لايبقى عالة على غيره من الأمم ولا يبقى مقلداً
ومستعبداً وإنما يجدد عهد الحضارة العربية بكل ما فيها من قيم إنسانية .

ايها الأخوة

إذا اردنا في هذه المناسبة العظيمة ان نمجد انتفاضة رمضان وان نجدد العهد
على استرداد عراقنا الحبيب من أيدي الرجعيين والاستعماريين والشعوبيين فليس
مثل هذا العهد نقطعه على أنفسنا يهيم لنا سبيل العودة إلى العراق وإلى كل قطر
عربي هذا العهد بأن نتحاشى تلك الأخطاء التي وقعت في الماضي والتي كان سببها
السكر بخمرة الظفر والسلطة أو الطيش والغرور وانفصال القادة عن القاعدة وتلهمهم
بالتنافس والتناحر على المناصب متناسين الرسالة السامية التي وجد هذا الحزب
ووجدت ثوراته من أجل تحقيقها، ألا وهي : مصلحة الشعب، مصلحة عشرات
الملايين من ابناء الشعب العربي .

هذه هي الرسالة فكيف يجوز لأحد . . للقادة أن يفكروا لحظة واحدة في
انفسهم وفي مراكزهم ومصالحهم الشخصية وهم مؤتمنون على مثل هذه الرسالة
لا يصلح حالنا إلا إذا قرنا العلم بالاخلاق وحزبنا قام على العلم ولولا ذلك لم يبق
هذه السنين الطويلة ولم ينجح وانما نجح أيضاً لأنه لم ينظر إلى العلم نظرة سطحية
وانما قرن العلم بالقيم الأخلاقية بالتذكر المستمر للأمانة التي وضعت في أيدي
مناضلي هذا الحزب وقادته، والتي تتعلق بمصلحة عشرات الملايين من العرب .
هذه الأمانة التي تتطلب منا جهداً وتواضعاً وتجرداً حتى نأمن في المستقبل النكسات
والعثرات وحتى نؤدي الأمانة كاملة صادقة والسلام عليكم .

٩ شباط ١٩٦٥